الآفة الثامنة والثلاثون
تتبع العورات

والآفة الثامنة والثلاثون التى إن ابتلى بها الناس ، وشاعت فيهم أصابتهم بالكراهية، والفرقة، والقطيعة، ثم الوقوع فريسة فى أيدى الأعداء إنما هى : « تتبع العورات» .

وحتى يتخلص من هذه الآفة من ابتلى بها ويتقيها ، ويحذرها من سلمه الله عز وجل منها، فإنه لابد من الوقوف على أبعادها ومعالمها من خلال هذه الجوانب :

الجانب الأول : تعريف تتبع العورات لغة وشرعًا :

لغة : تتبع العورات مركب إضافى مؤلف من كلمتين هما « تتبع » « عورات » والأمر يقتضى تعريف كل على حدة ، ثم تعريف هذا المركب، ودونك البيان: «التتبع» يأتى فى اللغة بمعنى : السير وراء الشىء، وتطلبه على مهل [1] . « العورات » : جمع عورة ولها فى اللغة معان : منها :

١ ـ الخلل والعيب فى الشىء .

٢ ـ كل ما يستره الإنسان استنكافًا أو حياءً [2] وهى من الرجل : ما بين السرة والركبة من المرأة الحرة : جميع جسدها إلا الوجه واليدين إلى الكوعين [3] ولا تعارض بين هذين المعنيين ، إذ هى كل عيب أو خلل يستنكف أو يستحيا من إظهاره .

وتتبع العورات هو : السير بتؤدة وعلى مهل وراء كل عيب ، أو خلل يستنكف، أو يستحيا من إظهاره .

شرعًا : أما تتبع العورات شرعًا فلم أجد فيه بحثًا مفردًا ، وإنما عبارات متناثرة هنا وهناك فحواها ، ومضمونها أنه :

---

(١) انظر : المعجم الوسيط ١/ ٨١ بتصرف .

(٢) انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/ ١٣٨ : المعجم الوسيط ٢/ ٣٦٣ بتصرف .

(٣) انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/ ١٣٨ .

متابعة البحث والتفتيش عما خفى مما يستحى الناس منه ، ويستنكفون من إظهاره صوابًا أو خطأ مدحًا أو قدحًا، فصار المعنى الشرعى أوسع من المعنى اللغوى إذ المعنى اللغوى مقصور على محاولة الكشف عن المعيب أو الخطأ ، بينما المعنى الشرعى يعم كل ما يخفيه الناس معيبًا، أو غير معيب صوابًا أو خطأ .

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن رجلا اطلع فى بعض حجر النبى ﷺ فقام إليه بمشقص أو مشاقص ، وجعل يختله ليطعنه » [١] .

وليس فى بيت النبى ﷺ أمور معيبة أو مذمومة ومع ذلك عمل على طعنه إيذانًا بأن تتبع العورات شرعًا أبعد مدى وأوسع دائرة من المدلول اللغوى :

الجانب الثانى : ماهية الألفاظ ذات الصلة : (التجسس ـ التحسس ـ الترصد ـ التنصت) :

وردت عدة ألفاظ ذات صلة قوية بتتبع العورات منها :

١ ـ التجسس : وهو فى اللغة : التفحص باليد ، ثم صار عامًا فى التفحص والتتبع باليد وبغير اليد [٢] .

٢ ـ التحسس : وهو فى اللغة : التفحص بالحواس من اليدين ، والعينين والفم ، والسمع ، والشم [٣] .

وقد اختلف العلماء فى علاقة كل منهما بالآخر ، فمن قائل بالتضاد ، ومن قائل بالتوافق ، ومن قائل بالعموم ، والخصوص، والراجح أن مآلهما واحد وهو تتبع المخفى والمستور وتفحصه بكل ما يمكن من أساليب ووسائل .

أما التجسس أو التحسس اصطلاحًا فهو: تتبع العورات وغيرها بكل الأساليب والوسائل مشروعة أو غير مشروعة، ثم خُصَّ بالاطلاع على عورات المسلمين ونقل أخبارهم للعدو بطريقة سرية سواء أكانت هذه الأخبار عسكرية أو غير عسكرية أيام السلم أو أيام الحرب، وسواء أقام بها مسلم أو غير مسلم [٤] .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الديات : باب من اطلع فى بيت قوم ففقؤوا عينه فلا دية له ص ١١٨٩ رقم ٦٩٠٠ .

(٢) انظر : لسان العرب ٧/ ٣٣٣٧ ، تهذيب اللغة ٩/ ٤٤٨، تاج العروس ٤/ ١١٩ .

(٣) انظر : لسان العرب ٧/ ٣٣٧، تهذيب اللغة ٩/ ٤٤٨، المعجم الوسيط ١/ ١٢٣ .

(٤) انظر : التجسس وأحكامه فى الشريعة الإسلامية لمحمد زاكان الدغمى ص ٢٦ ـ ٣١ بتصرف .

٣ ـ الترصد لغة هو : القعود على الطريق ترقبًا ومنه الرصدى : الذى يقعد على الطريق ينظر الناس ليأخذ شيئًا من أموالهم ظلمًا وعدوانًا .

أما الترصد اصطلاحًا فهو: القعود بالمرصاد للناس، ومراقبتهم لمعرفة أخبارهم[١] .

٤ ـ التنصت لغة هو : التسمع أو تكلف الإنصات[٢] .

أما التنصت اصطلاحًا فهو : التسمع لأخبار الناس ولو بشيء من التكلف .

وهكذا يلتقى مصطلح : « تتبع العورات » مع التجسس، والتجسس والترصد، والتنصت فى أن الغاية هى الوقوف على أخبار الناس،وإن اختلفت الوسيلة والأسلوب.

الجانب الثالث : أهم صور تتبع العورات وموقف الإسلام من هذه الآفة وأدلة هذا الموقف

لتتبع العورات صور أهمها :

١ ـ السؤال وبإلحاح للناس عن خاصة شؤونهم وأحوالهم .

٢ ـ التنصت على الناس فى أحاديثهم ، ومتابعة سلوكهم .

٣ ـ اختلاس النظر فى بيوت الناس .

٤ ـ دخول البيوت بغير إذن من أهلها .

٥ ـ طرح الأسئلة الإسقاطية التى ظاهرها العموم، وهى فى حقيقتها تعنى الخصوص وهلم جرًا .

هذا وقد حرم الشارع تتبع العورات والتنقيب عما خفى من أمور الناس إذ يقول النبى ﷺ : « يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه : لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه فى بيته »[٣] .

---

(١) انظر : المعجم الوسيط ١/٣٤٨، الصحاح فى اللغة والعلوم للمرعشليين ص ٣٨٦، ٣٨٧ بتصرف .

(٢) انظر : المعجم الوسيط ٢/ ٩٢٥، الصحاح فى اللغة والعلوم للمرعشليين ص ١١٧١ بتصرف .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فى الغيبة ص ٦٨٨ رقم : ٤٨٨ من حديث أبى برزة الأسلمى رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ، وأورده الغزالى فى : إحياء علوم الدين ٣/ ١٤٠ وعقب عليه العراقى فى المغنى بقوله : « سنده جيد » كما ذكره الألبانى فى : صحيح سنن أبى داود رقم ٤٠٨٣ وعقب عليه بقوله : « حسن صحيح » .

ويقول أيضًا : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا »[١] .

ومن قبل قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

بل لقد بين النبى ﷺ بالقول وبالفعل : أن على من انتهكت حرماته وتتبع عوراته أن يدفع هذا الأذى الذى لحق به بما يروع منتهكى الحرمات ومتتبعى العورات بأن يستخدم أخف الوسائل، فإن لم يرتدع استخدم أشدَّها وإن أصيب المعتدى فى نفسه، أو فى بعض أعضائه، فلا دية، ولا قصاص .

إذ يقول ﷺ : « لو أن امرأً اطلع عليك بغير إذن فخذفته بحصاة ، ففقأت عينه، لم يكن عليك جناح »[٢] .

وإذ يقول : « مَن اطلع فى بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه ففقؤوا عينه فلا دية له ، ولا قصاص »[٣] .

وإذ يقول أنس رضي الله عنه : « أن رجلاً اطلع فى بعض حجر النبى ﷺ فقام إليه بمشقص أو مشاقص وجعل يختله ليطعنه »[٤] .

على أنه يجوز تتبع عورات من ظهرت منه أمارات الفسق والفجور فى نفسه أو مع غيره لحمله على الإقلاع، وزجره عن المعاودة .

يقول الأستاذ محمد زاكان الدغمى ـ بعد أن ساق طائفة من النصوص المتعلقة بتتبع العورات : « والتجسس على عورات الناس حرام سواء أكان بالتطلع أم بالاستنصات والاستماع، وسواء أكان ذلك من الأفراد والجماعات أم من الحاكم، وذلك لورود النهى عن التجسس صراحة فى القرآن الكريم والسنة النبوية كما مر آنفًا .

---

(١) الحديث سبق تخريجه فى آفة : سوء الظن .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الديات : باب من اطلع فى بيت قوم ففقؤوا عينه فلا دية له ص ١١٨٩ رقم ٦٩٠٢ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فى الاستئذان ص ٧٢٦ رقم ٥١٧٢ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به .

(٤) الحديث سبق تخريجه .

ومن هنا فلا يجوز التجسس إلا لشبهة دالة على ريبة، أو جناية لا يعرف فاعلها فيجوز التحرى، والتجسس على أهل الريب لمعرفة الجانى، ومن هذا عمل رجال المخابرات عمومًا لمعرفة الخطرين على الأمن لوضع الضوابط التى تدفع شرهم »[١] .

وذكر الإمام أبو حامد الغزالى شروطًا بها يجوز للمسؤول التجسس منها : الشرط الثالث : « أن يكون المنكر ظاهرًا للمتجسس بغير التجسس » .

« فكل من أغلق بابه، وستر عورته لا يجوز أن يتجسس عليه إلا أن يظهر بالدار ظهورًا يعرفه من هو خارج الدار، كأصوات المزامير، والأوتار أو سماع طمطمة، أو ارتفاع الأصوات بحيث جاوزت حيطان الدار فمن سمع ذلك من المسؤولين فله دخول الدار ؛ لأن التجسس هو طلب الأمارات المعروفة وهو المنهى عنه فإذا حصلت الأمارة المعروفة دون طلب، عندها يجوز العمل بمقتضاها ولذا لا يجوز اقتحام الدور بالظنون نظرًا لحرمة المساكن فى الإسلام وضرورة المحافظة على ما ستره الله تعالى فيها أما فى حالة ظهور الفساد، فيجب دفع الضرر والمفسدة ، ويجوز عندها التجسس »[٢] .

وقد سبق إلى هذا الفقه من الصحابة ﷺ ابن مسعود، وعمر إذ يقول ابن مسعود ﷺ : « إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شىء نأخذ به »[٣] .

وإذ يقول عبد الرحمن بن عوف ﷺ عن نفسه : « إنه حرس مع عمر بن الخطاب ليلة بالمدينة فبينما هم يمشون شبَّ لهم سراج فى بيت، فانطلقوا يؤمونه، فلما دنوا منه إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط ، فقال عمر وأخذ بيده عبد الرحمن بن عوف: أتدرى بيت من هذا ؟ قال : هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شُرُبٌ فما ترى ؟ قال : أرى أن قد أتينا ما نهى الله عنه ، قال الله : ﴿ **وَلَا تَجَسَّسُوا** ﴾ [الحجرات : ١٢] ، فقد تجسسنا فانصرف عنهم، وتركهم »[٤] .

---

(١) انظر : التجسس وأحكامه فى الشريعة الإسلامية ص : ١٤٨ .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين ٢/ ٣٢٠، ٣٢١ .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن كتاب الأدب فى التجسس ص : ٦٩٠ رقم ٤٨٩٠ من حديث زيد ابن وهب قال : « أتى ابن مسعود فقيل : هذا فلا تقطر لحيته خمرًا فقال عبد الله : إنا قد نهينا عن التجسس. الحديث » .

(٤) الحديث أورد السيوطى فى : الدر المنثور ٧/ ٥٦٧.

الجانب الرابع : آثار تتبع العورات :

أ ـ على العاملين :

لتتبع العورات أثر على العاملين نذكر منها :

١ ـ زرع الأحقاد، والضغائن فى النفوس :

ذلك أن لكل حرمته فى دينه، ودمه، وعقله، وعرضه، وماله.

وإذا ما انتهكت هذه الحرمة فإنها يورث فى النفس الأحقاد، والضغائن من باب غضبة المرء لحرماته. لا سيما إذا عجز هذا المرء عن الثأر لهذه الحرمات .

٢ ـ ذهاب الهيبة، وخسران الثقة :

ذلك أن الناس ينظرون إلى من يتتبع العورات أنه غير آمن على حرمات الناس ، فيسحبون منه الثقة ، وتسقط هيبته من نفوسهم، وماذا يبقى للمرء بعد سحب الناس ثقتهم به وزوال هيبته من نفوسهم ؟

٣ ـ التورط فى مزيد من الفسق والفجور :

ذلك أن المتتبع لعورات الناس، قد يطلع على ما يسوء ولا تحمد عقباه، فيقوده ذلك إلى مزيد من الفسق، والفجور، كالغيبة، والنميمة وحب الثأر المتمثل فى سفك دم، أو انتهاك عرض أو سلب مال ونحو ذلك، وقد نبه إلى هذا رب العزة سبحانه إذ يقول : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات : ١٢] .

٤ ـ حلول الغضب الإلهى :

ذلك أن المتتبع لعورات الناس قد خالف حكم الله ورسوله فى حرمة التجسس وتتبع عورات الناس، ومن يخالف حكم الله ويتمادى فى ذلك ولا يتوب يحلل عليه الغضب الإلهى، وقد قال الحق سبحانه: ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ [طه].

٥ ـ الفضيحة فى الدنيا والآخرة :

يتمثل الغضب الإلهى الذى ينزل بمن يتتبع عورات الناس فى صور لا حصر لها ومنها فضيحة الله ـ عز وجل ـ وقد بين ذلك رسول الله ﷺ فى قوله : « يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه فى بيته »[١] .

---

[١] الحديث سبق تخريجه .

٦ ـ هدر المتتبع لعورات الناس حرمات نفسه :

ذلك أن المتتبع لعورات الناس قد أهدر حرمة الآخرين، وأقل عقاب له فى الدنيا أن تهدر حرمته هو، من باب: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠]، ومن باب : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٤] .

وهذا ما نبه إليه النبى ﷺ فى قوله : « من اطلع فى بيت قوم بغير إذنهم، ففقؤوا عينه، فلا دية له، ولا قصاص » (١) .

٧ ـ حمل الآخرين لا سيما الناشئة ومن لا حصانة لهم أن يشتغلوا بعورات غيرهم:

ذلك أن تتبع عورات الناس سيعلم الآخرين لاسيما الناشئة ومن لا حصانة لديهم: أن يشتغلوا بتتبع عورات غيرهم فيكسب مَنْ علَّمهم ذلك إثمين : إثم نفسه، وإثم من اقتدى به، وسار وراءه من باب : « . . . ومن سنَّ سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا » (٢) .

ب ـ على العمل الإسلامى :

ولتتبع عورات الآخرين كذلك آثار على العمل الإسلامى : نذكر منها :

١ ـ الفرقة والقطيعة :

ذلك أن امتلاء الصدور بالأحقاد والضغائن، والتورط فى مزيد من الفسق، والفجور كل ذلك يؤدى إلى تسويد القلوب، ومن ثم الفرقة والقطيعة .

٢ ـ الحرمان من العون الإلهى :

ذلك أن الفرقة والقطيعة ليست من دين الله فى شىء كما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

وقد مضت سنته سبحانه أن يخذل كلَّ من أتى ما يخالف منهاجه، ويضاد حكمه، كما صنع سبحانه مع أهل الكتاب، إذ يقول : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران] .

---

(١) الحديث سبق تخريجه .

(٢) الحديث سبق تخريجه .

٣ ـ كثرة التكاليف ، وطول الطريق :

ذلك أن الخذلان الإلهى لمتتبعى عورات الناس يتمثل فى صور منها : الوقوع فريسة فى أيدى الأعداء، وعبث هؤلاء بالمناهج والقيم والمبادئ،ويحتاج المسلمون للتخلص من سيطرة هؤلاء الأعداء إلى زمن طويل مع جهد كبير، ومعاناة ومشقات على نحو ما هو قائم وواقع ببلاد المسلمين اليوم وعلى نحو ما حل بهم منذ أكثر من قرنين من الزمان.

الجانب الخامس : أسباب تتبع العورات :

هناك أسباب تؤدى إلى تتبع العورات، وعوامل توقع فيه نذكر منها :

١ ـ سوء التربية الأسرية :

ذلك أن الأسرة إذا كانت حياتها مبنية على تتبع العورات ، ولم تتعهد صغارها على الأقل بالتنفير من هذا الفعل، وتقبيحه فإنه ينشأ وفى دمه الاطلاع على العورات، بل الترصد لها والتجسس عليها من باب أن الولد صورة دقيقة للأسرة : إن استقامت استقام، وإن انحرفت انحرف .

٢ ـ ضعف الإيمان :

ذلك أن المرء إذا كان ضعيف الإيمان بالله، والعاقبة، والمصير : استهان بالعورات، ففتش عنها، وتجسس عليها بكل الأساليب والوسائل، وصدق النبى ﷺ إذ يقول : «إنَّ مِمَّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » [(١)] .

٣ ـ أصدقاء السوء :

ذلك أن المرء إذا عاش بين أصدقاء السوء، وكان من أخلاقهم تتبع العورات، والتفتيش عنها، والتجسس عليها ، فإنه يتأثر بهم غالبًا ، ولا سيما إذا لم يكن قوى الشخصية.

إذ المرء على دين خليله ، وفى الأمثال الأعجمية : « قل لى : من صديقك ؟ أقل لك : من أنت ؟ » .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى الصحيح : كتاب أحاديث الأنبياء : باب منه ص ٥٨٧ رقم ٣٤٨٣، ٣٤٨٤، وكتاب الأدب : باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت ص ١٠٦٧ رقم ٦١٢٠ وأبو داود فى / : السنن : كتاب الأدب : باب فى الحياء ص ٦٧٩ رقم ٤٧٩٧ كلاهما من حديث أبى مسعود البدرى رضي الله عنه مرفوعًا .

٤ ـ مرض القلب :

ذلك أن المرء إذا كان مريض القلب لاقترافه المعاصى والسيئات فإنه يستهين بالعورات، ويعمل بطريق أو بأخرى على رصدها، واقتناص ما يمكن اقتناصه منها .

وفى حديث حذيفة ﷺ ما يصور أثر القلب المريض على صاحبه إذ يقول ﷺ : «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين : على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مرباد كالكوز مُجَخِّيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه »[١] .

٥ ـ عدم الاحتراز من مواطن الريبة والتهمة :

ذلك أن المرء قد لا يحترز من مواطن الريبة، والتهمة، فيفتح الباب أمام المتطفلين ونحوهم أن يظنوا به سوءًا ، ويحملهم هذا الظن على التجسس وتتبع العورات للتحقيق والتأكد، وذلك فيه من الخطورة ما فيه لهذا جاء فى الحديث قوله ﷺ : « . . . فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه ، وعرضه . . . »[٢] . « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك »[٣] .

٦ ـ الاستخدام من قبل جهات لا تخشى الله والدار الآخرة :

ذلك أن هناك جهات لا تخشى الله والدار الآخرة ، وليس لها هم سوى الاطلاع

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب ص ٧٤ رقم ٢٣١/ ١٤٤/ ٣٦٩ من حديث حذيفة مرفوعًا به .

(٢) الحديث جزء من حديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب فضل من استبرأ لدينه ص ١٢ رقم ٥٢، وكتاب البيوع : باب الحلال بين والحرام بين . . ص ٦٢٩ رقم ٢٠٥١، ومسلم فى: الصحيح: كتاب المساقاة : باب أخذ الحلال وترك الشبهات ص ٦٩٨ رقم ١٠٧، ١٠٨ / ١٥٩٩ / ٤٠٩٤ ـ ٤٠٩٧، وأبو داود فى : السنن : كتاب البيوع : باب ما جاء فى اجتناب الشبهات ص ٤٨٤، ٤٨٥ رقم ٣٣٢٩، ٣٣٣٠، والترمذى فى السنن : كتاب البيع : باب ما جاء فى ترك الشبهات ص ٢٩٤ رقم ١٢٠٥، والنسائى فى السنن: كتاب البيوع: باب اجتناب الشبهات فى الكسب ص ٦١٧، ٦١٨ رقم ٤٤٥٨، وابن ماجه فى السنن : كتاب الفتن : باب الوقوف عند الشبهات ص ٥٧٣ رقم ٣٩٨٤ كلهم من حديث النعمان بن بشير ﷺ مرفوعًا، وعقب الترمذى على حديثه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة : باب حديث اعقلها وتوكل ص ٥٧٢ رقم ٢٥١٨ والنسائى فى : السنن : كتاب الأشربة : باب الحث على ترك الشبهات ص ٥٧٢، ٥٧٣ رقم ٥٧١٤ كلاهما من حديث الحسن بن على ﷺ مرفوعًا به، وعقب الترمذى على حديثه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » .

على العورات، وتوظيفها بما يناسب أهواءها ومشاربها، وقد لا تستطيع الوصول إلى ما تريد بنفسها أو تستطيع، ولكنها لا تحب الكشف عن هويتها فتستخدم بعض الأغرار فى تتبع العورات والتجسس عليها، ويتورط هؤلاء فى ذلك عن قصد أو غير قصد .

٧ ـ الظفر بالعثرات لتكون أداة ضغط لخدمة أهداف معينة :

ذلك أن المتربصين بالناس الدوائر قد لا يجدون تحقق أهداف بعينها إلا عند طائفة ما بين الناس، ويصعب عليهم شراء ذمم هؤلاء، ولا يبقى أمامهم سوى الظفر ببعض العثرات حيث إن كل بنى آدم خطاء، ويجعلون من هذه العثرات أدوات ضغط على هذه الطائفة لتحقيق ما يريدون ويرون الطريق لذلك فى تتبع العورات، والبحث، والتفتيش عنها.

٨ ـ الفراغ :

ذلك أن الفارغ من الناس يملى عليه الشيطان الدخول فى سبل لا حصر لها ومنها تتبع العورات لملأ هذا الفراغ، وتستجيب النفس الأمارة بالسوء لذلك، فيكون التورط فى هذه الآفة وصدق النبى ﷺ الذى يقول: « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » (١) .

والذى يقول : « اغتنم خمسًا قبل خمس : حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك » (٢) .

٩ ـ تقصير المجتمع فى واجبه نحو متتبعى العورات :

ذلك أن على المجتمع أن يقوم نحو بعضه البعض بواجب إنكار المنكر، وإلا تحولت الأرض إلى بؤرة من الشر والفساد، يشيع فيها انتهاك الحرمات فى : العقيدة ، والدم ،

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الرقاق : باب الصحة والفراغ ولا عيش إلا عيش الآخرة ص ١١٣ رقم ٦٤١٢، والترمذى فى: السنن : كتاب الزهد : باب الحكمة ص ٦٠٨ رقم ٤١٧٠ كلهم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا، وعقب الترمذى على حديثه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم فى: المستدرك: كتاب الرقاق : باب نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ ٥/ ٤٣٥ رقم ٧٩١٦ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا بهذا اللفظ وعقب عليه بقوله : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه » وسكت عنه الذهبى فى : تخليص المستدرك وأورده الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى : فى صحيح الجامع الصغير ١/ ٤٣، ٢٤٤ مرفوعًا ومرسلا.

والعقل، والعرض، والمال . وتتبع العورات من أنكر المنكر ، وحين يقصِّر المجتمع فى واجبه نحوه يشيع ويتفشى بين الناس حتى لكأنه السمة العامة للمجتمع .

١٠ ـ عدم قيام ولى الأمر بواجبه نحو تتبع العورات :

ذلك أن الله يزع بالسلطان ما لم يزع بالقرآن وحين لا يقوم ولى الأمر بواجبه نحو تتبع العورات من التحذير، ثم التعزير فإنه يتفشى هذا الوباء، وينتشر بين الناس وذلك فيه من الخطورة ما فيه .

الجانب السادس : سبيل الخلاص من هذه الآفة بل الوقاية والاحتراز :

إن سبيل الخلاص من هذه الآفة بل الوقاية والاحتراز تتمثل فى :

١ ـ أن يقوى المرء ملكة المراقبة لله عز وجل لديه :

ذلك أن المرء إذا قويت ملكة المراقبة لله عز وجل لديه بأنه يراه ويطلع على كل ما يقع منه سرًا وعلانية استحيا أن يتورط فيما نهى عنه وحذر الرسول ﷺ من التجسس على عباد الله وتتبع عوراتهم، ولا شك أن تربية ملكة المراقبة هذه ليست بالأمر الهين ولا باليسير؛ إذ هى تبدأ بمعرفة الله وكمالاته من دوام النظر فى الكون، وفى النفس وكثرة تلاوة القرآن والمواظبة على الذكر المطلق، والمقيد، ثم معايشة الأحداث التى وقعت فى الماضى وكان حاضرها وشاهدها، والقاضى فيها رب العزة سبحانه كقصة المرأة التى ظاهر منها زوجها فى سورة المجادلة، وكقصة حاطب بن أبى بلتعة وكقصة ابنتى سعد بن الربيع حين صادر عمهما تركة أبيهما، وحرمهما الإرث منها ، واطلاع الحق سبحانه على ذلك كله، وإنزال قرآن يقضى بالحق، فى ذلك كله ويتلى هذا القرآن إلى آخر الزمان، ثم قياس الحاضر على الماضى وأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، ثم ما يشعره الإنسان من داخله من معية الله سبحانه وتعالى واطلاعه على أحواله لا سيما فى أوقات الشدائد، والمحن، ثم مصاحبة القدوات الحية المعروفة بمراقبتها لله عز وجل وخوفها الشديد منه .

٢ ـ أن يستحضر المرء على الدوام رجوعه إلى ربه ، والحساب ، والجزاء :

ذلك أن الخلق كلهم راجعون إلى الله ومسؤولون ومجزيون عن أعمالهم بالسوء سوءًا ، وبالإحسان إحسانًا، ويوم يستحضر المرء ذلك ويضعه نصب عينيه ويكون عاملا لمصلحة نفسه، ساعيًا من أجل إسعادها فإنه يقلع لا محالة عن هذه الآفة بل يعمل جاهدًا على تحصين نفسه منها بطريق أو بأخرى، ولا شك أن استحضار هذه اللحظات،

وتلك الساعات يحتاج إلى معايشة دائمة لكتاب الحياة : القرآن الكريم ، وكذلك النبى ﷺ من خلال سننه الشريفة، وسيرته العطرة، المطهرة، وكيفية تصوير هذا الكتاب، وتلك السنة للعافية والمصير،وما ينتظر العباد هناك من شدائد وأهوال إلا من رحم الله.

٣ ـ أن تقلع الأسرة التى نشأ بها المرء عن هذه الآفة مع التنويه بخطئها فى الماضى:

ذلك أن إقلاع الأسرة التى نشأ بها المرء عن هذه الآفة، مع اعتراف هذه الأسرة بخطئها الماضى ، والعزم الأكيد أنه لا عودة إلى هذه الآفة مرة أخرى ، وإن تعرضت لشتى المساومات .

إن ذلك لو حدث يعيد إلى المرء ثقته بالبيئة التى نشأ بها وحرصه على تجميل صورها بين الناس بإقلاعه عن هذه الآفة وإصراره على عدم الرجوع إليها ، وإن قطع وحرق بالنار .

٤ ـ أن ينقلب المرء عن مصاحبة أهل السوء إلى مصاحبة أهل الطاعة والإحسان :

ذلك أن شخصية المرء لا يكتمل بناؤها إلا من خلال الأصحاب ، غاية ما فى الأمر أن البناء يكون هشًا لا أساس له إن كان هؤلاء الأصحاب أهل شر وسوء ، ويكون قويا متينًا راسخًا إن كانوا أهل بر وإحسان ، وما من شك فى أن أصدقاء السوء هم الذين يعملون بطريق أو بأخرى كما قدمنا على جر المرء أن للوقوع فى غائلة هذه الآفة .

والعلاج الانقلاب من صحبة هؤلاء السيئين الأشرار إلى صحبة الطيبين الأخيار ، وينبغى أن يتعاون الطيبون الأخيار فى كل حى، وأن يجعلوا من أنفسهم سفينة الإنقاذ لمثل هؤلاء .

٥ ـ أن يداوى المرء قلبه مما نزل به من علل وأمراض :

ذلك أننا قدمنا أن مرض القلب كان من بين أسباب الوقوع فى هذه الآفة ، ولا بمرض القلب إلا بالمعاصى والسيئات، والعلاج أن يقلع المرء عن المعاصى والسيئات صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، إن هذا الإقلاع لا محالة سيؤدى إلى صقل القلب وشفائه، فلا يقبل القلب وهو ملك الجوارح أن تتبع هذه الجوارح عورات الناس وخفاياهم.

وقد ذكر النبى ﷺ الصورة التى يكون عليها القلب عندما يخطئ العبد ،

والصورة التى يكون عليها عندما يقلع عن هذا الخطأ فقال : « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء ، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه ، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذى ذكر الله ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين] »[1] .

٦ ـ أن ينأى المرء بنفسه عن مواطن التهمة والريبة :

ذلك أن المرء إذا رغب فى الحفاظ على عوراته وعدم تتبعها، من قبل الآخرين، فإن عليه أن يتخذ خطوة إيجابية تتمثل فى أن ينأى بنفسه عن مواطن التهمة والريبة ، بحيث يغلق باب الظن السيئ ومن ثم التجسس وتتبع العورات، وهذا يتلقى حين تكون السلوكيات محسوبة .

٧ ـ أن يكون المرء يقظًا واعيًا بحيث لا يقع فريسة فى أيدى أصحاب الأهواء :

ذلك أن أصحاب الأهواء لا يكفون عن البحث عن الأغرار الغافلين لتوظيفهم فى التجسس وتتبع العورات وعلى المرء أن يكون يقظًا واعيًا مقدرًا : أن هؤلاء لن ينفعوه ولن يغنوا عنه من الله ـ عز وجل ـ شيئًا كما أنهم سيحصلون على حاجتهم منه ويلقونه بعد ذلك على قارعة الطريق لا حول له،ولا قوة بعد أن تكون قد حقَّت عليه لعنة الله، والملائكة والناس أجمعين، وربما قتلوه، وتخلصوا منه بالمرة، فيكون قد خسر الحياتين جميعًا : الدنيا، والآخرة، وذلك هو الخسران المبين .

٨ ـ أن يملأ المرء أوقاته بالنافع المفيد :

ذلك أن وقت الإنسان قد يكون دمارًا أو عمارًا ، فإذا ملأه بسفاسف الأمور ، وتوافهها كان دمارًا وهلاكًا، وإذا ملأه بالنافع المفيد كان عمارًا ، ونجاة، وعليه فالعاقل هو الذى يجتهد أن يصنع لنفسه برنامج عمل يومى بما لا يتعارض مع الكتاب والسنة بحيث لا تبقى لديه لحظة تستغل من قبل الشياطين الجنية والإنسية فى البحث عن خفايا الناس وكشف ما ستره الله .

٩ ـ أن يقوم المجتمع بواجبه فى مقاومة تتبع العورات :

ذلك أن الشرع الحنيف جعل المجتمع أداة فاعلة فى سيادة الفضيلة وقتل الرذيلة حين كلفه بالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر مستخدمًا فى ذلك أساليب شتى من

---

[1] الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب تفسير القرآن : باب ومن سورة ويل للمطففين ص ٧٦١ رقم ٣٣٣٤ من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعًا به وعقب بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » .

الطلب المباشر وغير المباشر فقال سبحانه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وقال ﷺ : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان »(١) .

وعليه فإن على المجتمع أن يقوم بواجبه فى مقاومة التجسس على الناس وتتبع عوراتهم بكل ما منحه الشرع الحنيف من أساليب ووسائل، وأقل ذلك الإنكار القلبى المتمثل فى مقاطعة هذا الصنف من الناس بحيث تتعطل مصالحه وتنقطع به السبل أعتقد أن المجتمع لو قام بذلك بصدق وإخلاص وجد فإنه يحمل المتتبعين لعورات الناس أن يقلعوا ليعودوا عناصر مقبولة بين أبناء المجتمع .

١٠ ـ أن يقوم ولى الأمر بواجبه فى مقاومة هذه الآفة :

ذلك أن ولى الأمر هو الحصن المنيع الذى يؤول إليه كل خائف ويلوذ به كل مظلوم، كما أنه السوط الموجع الذى يؤدب به كل خارج ويقوم به كل معوج حتى جاء: «إن الله ليزع بالسلطان، ما لا يزع بالقرآن »(٢) .

وعليه فإن من واجبه أن يقوم بتقويم المتجسسين على أسرار الناس وخصوصياتهم بكل ما منحه الله من قوة وسلطان مرة بالترهيب، وأخرى بالترغيب، منفذًا ما يتوعد أو يعد به، ظنى أن ذلك لو قام به ولى الأمر صادقًا قلبه لا تأخذه فى الله لومة لائم فإنه سيحمل المتبعين للعورات أن يقلعوا لا محالة خوفًا من العقاب وطمعًا فى الثواب.

١١ ـ أن يتذكر المرء العواقب المترتبة على تتبع العورات :

ذلك أن الوقوف على عواقب الأمور، والأشياء سيحمل على اتخاذ موقف إقبال أو إدبار حسب نوعية هذه العواقب وقد قدمنا طائفة من العواقب الضارة والآثار المهلكة لتتبع العورات وحتى يسلم المرء من هذه العواقب وتلك الآثار فإن عليه أن يتذكرها على الدوام ويسأل نفسه .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان . . . ص ٤٢ رقم ٧٨/ ١٧٧/ ٤٩، والترمذى فى : السنن: كتاب الفتن : باب ما جاء فى تغيير المنكر . . . ص ٤٩٩ رقم ٢١٧٢ كلاهما من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ مرفوعًا به ، وعقّب الترمذى بقوله : «هذا حديث حسن صحيح » .

(٢) الأثر سبق تخريجه .

أيسره أن تذهب هيبته، ويخسر ثقة الناس به ؟ أم يسره أن يتورط فى مزيد من المعاصى والسيئات؟ أم يسره حلول الغضب الإلهى به المتمثل فى فضيحة الدنيا والآخرة؟ أم يسره زرع الأحاقد والضغائن فى النفوس ؟ أم يسره اقتداء الآخرين به فيحمل وزرًا على وزر ؟ أم تسره الفرقة والقطيعة بين الناس ؟ أم يسره الحرمان من العون الإلهى ، والتأييد الربانى ؟ أم يسره طول الطريق ، وكثرة التكاليف ؟

ظنى أن عاقلا لا يسره شىء من ذلك بحال من الأحوال .

١٢ ـ أن يتذكر المرء عواقب الجواسيس والمتتبعين للعورات :

ذلك أن السعيد من وعظ لغيره، ومن ذلك دوام النظر فى حال المتتبعين العورات إذ حالهم ناطقة أنهم تفانوا فى خدمة سادتهم ثم طرحوا فى المزابل وعلى قارعة الطريق ، وما جنوا سوى غضب الله ورسوله، ولعنة الملائكة والناس أجمعين، إن هذا التذكر قد يحرك القلب النائم فيستيقظ والغافل فيتنبه ومن ثم يكون الإقلاع، وتكون التوبة .

obeikandl.com